

أنا وأنتِ على الطريق

المشاكل الزوجية

المشكلة الزوجية بين عالم الأشياء وعالم الأشخاص..... هذا هو عنوان مقال كتبه عبدالله الماخذ عن المشاكل الحاصلة بين الزوجين، فقال:

الزواج سكنٌ ومودة لطرفي العلاقة الزوجية ، ومن شأن السكن والمودة أن يتصف بالديمومة والثبات والاستقرار. لكن مع فقدان الوعي وارتفاع نسبة الضغوط النفسية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية يبقى ذلك السكن أملاً منشوداً، إذ من شأن تلك الضغوط أن تزعزع استقرار الأسرة، وتقتحم عليها ذلك الهدوء. لكن ما هو الأسلوب الذي يجب على الزوجين أن يتبعاه في حل مشاكلهما؟

على هذا السؤال يقول الكاتب: في سبيل حل المشكلة التي تواجه الزوجين لا بد من الشعور بها أولاً. فإدراك المشكلة والوعي بها، ثم البحث عن أسبابها يُعتبر نصف الحل. كما أنه لا بد من المصارحة بين الزوجين. فهي أساس الثقة والثقة هي أسُّ الأسرة وأساسها. فإذا تمَّت معرفة الأسباب ومراجعة الحقوق والواجبات في حوار هادئ أمكن حل المشكلة وتجاوزها. وليحذر الزوجان من حب الإدانة بحيث يسعى كل واحد منهما إلى إدانة الآخر والحكم عليه. لأن ذلك ربما وُلد النقمة والحرص على تقصي العثرات وتتبع العورات.

ويتابع الكاتب ليقول: وكثيراً ما تشكو الزوجات من انهماك أزواجهن في العمل وانصرافهم عنهن. وربما يعود ذلك إلى أن بعض الأزواج يحبون فكرة الزواج أكثر مما يحبون معناه وما يشتمل عليه من حقوق وواجبات وسكن ومودة. أو يكون الزواج طموحاً يسعى إليه الرجل، فإذا تحقق ذلك الطموح، تملأ منه ورغب عنه، وعاد كما لو أنه ما زال يعيش فرداً وحيداً أعزب، أو ربما لأن العمل يشعره بالرضا عن نفسه ويولد عنده الثقة بالنفس والاستقرار الداخلي، أكثر مما يولده عنده السكن العاطفي بوجود رابطة الزوجية، وربما لأن عمله يسبب شعوره بالافتقار والسيطرة أكثر مما يشعر بذلك عندما يرتبط بزوجة عاطفياً.

إن كثيراً من الرجال لا يدركون أن التعلق العاطفي لا يبدأ إلا بمعزل عن السيطرة. فالسيطرة إنما تكون في عالم الأشياء والتعلق العاطفي والمودة إنما تكون في عالم الأشخاص . والخلط بين العالمين يسبب مشاكل كبيرة.

وثمة مسألة على جانب كبير من الأهمية، يضيف الكاتب ليقول: وهي أن كثيرا من النساء، والبعض من الرجال يفرطون في تعلقهم العاطفي بأزواجهم، مما يشكل عبئا كبيرا على المتعلق به، أشبه ما يكون بالحصار العاطفي ، فيشعر الزوج بالضيق ، ويتململ من تلك الحالة فيسعى إلى الانشغال عنها والهروب منها، لأن الرجال لا يتحملون المرأة المفرطة في التعلق العاطفي بزوجها، وكذا النساء، الأمر الذي يولد النفور.

وهذا التعلق المفرط له أسباب كثيرة، منها أن تعاني المرأة من فراغ إذا لم يكن لها ما يشغلها، وخاصة إذا لم يكن لديها أطفال، مما يجعل الزوج شغلها الشاغل. ومن ثمَّ وجب على المرأة أن يكون لها اهتمامات متنوعة، تحرص من خلالها على تحقيق وجودها المنفصل عن زوجها بصفقتها فردا له كينونته، مكملا للزوج وليس متناحرا معه.

إذن أول خطوة يمكن أن تتخذها يا سيدتي مع زوجك لحلول المشاكل الواقعة بينكما هي الوعي بها، ثم البحث عن أسبابها وهذا يعتبر نصف الحل. وليس هذا فحسب بل أنه لا بد من المصارحة بين الزوجين، فهي أساس الثقة. والثقة هي أس الأسرة وأساسها. نعم إذ إن الصراحة بين الزوجين وعدم كتم أي شيء أحدهما عن الآخر، مهمة جداً. لماذا؟ لأن الأمور يجب أن تكون على نور. أي إذا كان يخفي أحد الفريقين شيئا عن الآخر فهذا مغناه أنه لا يثق فيه.

تخبرني صديقتي بأن زوجها يخفي عليها كل ما له وما عليه. وهي لا تعرف مصروفه ولا ماذا يفعل بمعاشه الشهري. وبنفس الوقت هو يريد أن يعرف منها كل شيء. فهل تعتبر هذه ثقة بين الزوجين؟ كلا أبدا. إن ما يعلمه الكتاب المقدس الذي هو كلمة الله الموحى بها ، هو أن يكون هناك ثقة بين الزوجين. فاسمعي مثلا ما يقوله النبي والملك سليمان الحكيم عن المرأة الفاضلة: بها يثق قلب زوجها.

فمفهوم الزواج يجب أن يكون واضحا بين الزوجين. لأن معنى الزواج هو غير فكرته. فمعناه يشتمل على حقوق وواجبات وسكن ومودة. فاسمعي مثلا يا سيدتي ماذا يعلمنا الإنجيل المقدس عن واجبات الزوج والزوجة تجاه بعضهما البعض. يقول بولس أحد رسل المسيحية الأوائل وبوحي من روح الله القدوس هذه الكلمات:

أيها النساء اخضعن لرجالكن كما للرب... وأيها الرجال أحبوا نساءكم كما أحب المسيح الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها. يجب على الرجال أن يحبوا نساءهم كأجسادهم. من يحب امرأته يحب نفسه. فإنه لم يبغض أحد جسده قط بل يقوته ويرببه كما الرب أيضا للكنيسة. من أجل هذا يترك الرجل أباه وأمه ويلتصق بامرأته ويكون الاثنان جسدا واحدا....

ترى هل ندرك ما هو مفهوم الزواج الصحيح من هذه الكلمات؟ هل نفهم من هنا أن الرجال عليهم أن يحبوا نساءهم كأجسادهم ، وأن النساء عليهم الهيبة والخضوع لرجالهن. والخضوع لا يكون قسرياً أي بالقوة أبداً، بل عندما ترى أن زوجها يثق بها ويحترمها ويحبها لا يسعها إلا أن تحترمه وتهابه وتخضع له تلقائياً ومن دون شروط.

ومنحنا الرسول بولس مثالا عن الزواج المسيحي الصحيح فقال إن على الرجال أن يحبوا نساءهم كما أحب المسيح الكنيسة وأسلم نفسه لأجلها. أي المحبة المضحية والباذلة وليست المحبة الأنانية الذاتية. المحبة التي تبذل وتعطي وتمنح.

فهل نتبع حقا هذا المثل الصحيح في زواجنا؟ وهل نخضع قبل كل شيء لله تعالى صانعنا وخالقنا حتى نستطيع بالتالي أن نخضع لكلمته المقدسة التي علمنا إياها؟